جآذر جاسم ، وكأنها دمية عاج ، وكأنما هي دمية من دمى القصور ، وحورية من حور الجنان * وقد قرأت في وجهها نسخة الحسن ، وانما هي الحسن مجسما ، والجمال ممثلا * ويقال فلانة تغترق الابصار اي تشغلها بالنظر اليها عن النظر الى غيرها لحسنها ، ولفلانة ملاءة الحسن وعموده وبرنسه اي بياض اللون وطول القد وحسن الشعر * وتقول على فلانة مسحة من جمال ، وروعة من جمال ، اي شيء منه * وعليها عقبة الجمال اي اثره وهيئته * وهي ذات ميسم اي عليها اثر الجمال * وانها لحسنة شآبيب الوجه وهي اول ما يظهر من حسنها لعين الناظر اليها

قضت علينا بعض الظروف بتأخير هذا الجزء فنرجو المعذرة من حضرات القراء ثم اننا قد زدنا هذا الجزء ثماني صفحات لتوفر مواده وهو ما سنجري عليه كلما قضت الزيادة التماساً لمرضاة حضراتهم

أنيس الجليس

الجزء الثالث — السنة السابعة

{ الاسكندرية في ٣١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٤ }

{ الموافق ١٤ محرم سنة ١٣٢١ }

استهلاك الانسان لدنياه

ما برح هذا الانسان منذ تحضر ونمت بين يديه الاختراعات العديدة وهو دائب السعي مواصل الجهد في استخراج كنوز الارض ومنافعها ولكنه افرط في ذلك جداً اتباعا لافراط مدنيته حتى صار محسوباً لدى الارض لصاً يسرقها وينال منها ما ليس من حقه فانه بعد ان كان يحرق الاقة من الفحم الحجري مثلاً في سبيل تدفئته وانضاج طعامه صار ينفق مثلها في سبيل انتقاله بالسكك الحديدية والبواخر المائية ثم صار ينفق اضعافها في سبيل انارة منزله وشوارع بلدته متخطياً حدود التدريج في ذلك . حتى صار هذا الفحم على كثرته وهو على خطر النفاد الوشيك لان المدنية صارت تلتهمه التهاماً لمطالبها العديدة ومستحدثاتها الجمة ولهذا فهم كلما حسبوا ان الباقي من الفحم

يكفيهم لكذا من السنين يجدون انفسهم قد غلطوا في الحساب ويرون المدنية قد خالفت تقديراتهم ومن اجل ذلك بات اولو التقدير على وجل لانهم يجدون القياس يضطرب لديهم الى حد ربما يقضي برجوع المدنية الى الوراء فيصبح الانسان مدنياً بالعلم اي عارفاً بطرق المدنية واسبابها ولكنه عاجز عن مباشرتها بالفعل لامتناع ذرائعها واسبابها

اما الفحم فقد ظهر بالتأكيد انه لا بد ان ينفد وربما يكون نفاده قبل الوقت المعين له ما دام قد تبين انه لا حدّ لاختراعات البشر ولا خط لسعيهم في التماس الراحة والنعيم على نفقة ذاك الفحم . اما سائر المنافع البشرية فقد ظهر ان الانسان يفرط بالانفاق منها افراطاً زادت به الحاجة عن مقدار الموجود كما ظهر لهم من سباخ الطير مثلاً مما اتخذوه دليلاً على سواه فانه كان يوجد في الارض جزائر عديدة مقفرة كان يأوي اليها ملايين من طيور البحر وكان يتجمع منها سباخ يوزن بملايين الطنات لانه كان متراكما من قرون عديدة فلما علم الانسان به اقبل عليه من كل جانب حتى استنفده كله دون ان يدخر من مثله شيئاً يقوم مقامه حتى لقد نظروا الى ارخبيل واحد في جزائر بحر بيرو في اميركا الجنوبية فوجدوا انه قد اخذ من سباخ طيره سبعة ملايين طن في سبع سنوات فقط ثم لم يكتفوا بذلك بل ابادوا الطير نفسه حتى عدموا الاصل والفرع وصار من المحال ان يعوض هذا المورد المجاني النافع ولذلك لا بد ان يجيء حين يشعر به الاعقاب بحاجة ماسة الى ذاك السباخ الضروري لبعض المحاصيل فلا يجدونه

ثم يتلو ذلك النيترات الذي يؤخذ سباخاً فانهم وجدوه في شيلي وبيرو فاموا عليه من كل جهة حتى اوشك ان ينفد وقد لا تمر عليه مئة سنة حتى

يفنى ويتعذر الاتيان بما يقوم مقامه كما سيكون الشأن في الذهب فانه مع قلة الحاجة اليه من حيث الانتفاع الحقيقي به قد اوشك ان ينفد ايضاً لانهم قد عرفوا بكل معادنه وهم دائبون بكل الجهد على استخراجه ولا بد له من ان يفنى تبراً ويبقى دنانير وحلياً تفنى بالتدريج بحيث لا يدوم منه لأمه الارض الا ما لا يستطاع الوصول اليه كالموجود في الاعماق ونواحي القطبين الجامدين ومما يدلك على صحة ذلك انه لم يستخرج في عام ١٨٥١ الا بقيمة ١٧ مليون جنيه ذهباً فصار الان يستخرج بقيمة ٦٠ الى ٧٠ وهذا وان كان يعزى الى الجهد وتحسين طرق الاستخراج فانه يدل على سعي شديد ينذر بنفاده حتى تصبح عمدة الارض من بعده على الموجود منه في سطحها مسكوكا ومصنوعا وهو مما يفقد وينتثر بفعل القدم وتوالي الزمن

ولقد كانوا يظنون انه اذا سدت ابواب الرزق على الانسان في الارض اليابسة فهو يجد من البحر مورداً لا ينضب ونتاجاً لا يفنى ولكن الذي ظهر من شدة الجهد الحاصل الان في اصطياد احياء البحر قد دلّ على شيء من خلاف ذلك لان الانسان قد امعن في صيده الاسماك والحيتان حتى افنى اكثر الموجود منها ثم زاد بتوصله الى اعماق البحر فنال من احيائها ما استطاع ولهذا فانه قد ينقرض من موجودات البحر انواع كثيرة كما انقرض مثلها عن سطح الارض الا اذا اعتدل الانسان في مطالبه وترفه وسن لاستهلاك تلك المخلوقات شرائع لا تنقض وهو ما يجري منه الان شيء في صيد الحيتان والسمك المعروف بالسردين وصيد الطيور والوحوش في بعض الممالك . الا انهم مع كل هذا الجهد لا تزال المدنية غالبة عليهم لنيل مشتهياتها كما شوهد في بعض صنوف المحار والسرطان فان اثمان هذه المأكولات قد تضاعفت

اكثر من عشر مرات في نحو ثلاثين سنة وهو ما يدل على كثرة استهلاكها وشدة الرغبة فيها بحيث لو دام ذلك على هذا المعدل فانها تنقرض من جهة التجارة وترجع بالانسان الى شرهه اليها بنتيجة اسرافه فيها

ثم انه ليست المعادن ولا هذه الحيوانات الدنيئة التي تنقرض بل ان حيوانات اخرى كبيرة تهم بالانقراض من شدة الافراط في صيدها والطمع في الربح منها حتى لقد ذكروا ان مليونين ونصف مليون حيوان بحري من الحيوانات ذات الصوف صيدت في سنة واحدة واخذت جلودها حتى اوشك ذاك الحيوان ان ينقرض ثم تلته حيتان البحر الكبيرة التي تتنازع الدول على مناطق صيدها فانهم قد افرطوا في قتلها حتى اشرفت على الفناء ولكن الطبيعة كانت كأنها حافظة لنفسها بنفسها فكسدت تجارة تلك الحيتان لكثرتها حتى قلت الرغبة في صيدها وهو ما يدعو الى استبقاء نوعها الا اذا دعت المطامع لاستئناف الكرة عليها

اما الفيل وهو اضخم الحيوانات البرية فقد كاد ان يزول من البلاد التي وطئها الانسان لانه يقتل منه كل عام الوف للظفر بعاجه وربما ينقرض بجملته حين يتوغل الانسان في المجاهل التي لا يزال يوجد فيها ذاك الحيوان بكثرة بحيث لا يعود الفيل منظوراً الا في معارض الحيوانات في العواصم والملاعب العمومية

هذا بعض ما يذكر عن سرقة الانسان لدنياه ومتاجرته بحيواناتها ذات الجلود والعظام الثمينة ولكن خطباً آخر يتهدد الدنيا من جهة غاباتها واخذ الاخشاب منها للمنافع العمومية ولصنع الورق بالخصوص فانهم ذكروا انكلترا وحدها بهذا الشأن فوجدوها تستبضع كل عام من الاخشاب ما تبلغ قيمته

٢٥ مليون جنيه . الا انه من المعلوم ان الاشجار تقطع ويغرس بديلها ولكنهم وجدوا على حسب المعدل الحاضر ان الفناء لا بد ان يدركها او تقتصد الدنيا في مدنيتها وحاجاتها الكمالية لان قلة الاشجار فيها وبالتالي انقطاع الغابات الكثيفة مما يغير تغييراً مهماً في اجواء البلاد ودرجات حرارتها فيجيء الخطب مضاعفاً

* * *

والذي يستفاد من معنى هذا المقال ان الدنيا على كثرة جهد بنيها في تعويض ما يؤخذ منها لا تزال على خطر شديد من الاضطراب في موجوداتها وعدم الملاءمة بين مقدار الحاصل والمطلوب . الا ان الحيوانات مثلاً يمكن الابقاء عليها بحيل وشرائع كثيرة تحفظ نوعها حتى تعود الى كثرتها لان تحلي النساء بريش النعام واستعمال الرجال لعاج الفيل مما يمكن الاستغناء عنه مدة واما الفحم الحجري فالاستغناء عنه مستحيل سواء للقيام بالمطالب الكمالية والضرورية ولذلك صاروا يفكرون في قوى مجانية تقوم مقامه وهو ما اشرنا الى شيء منه فيما مضى ولاسيما قوى الماء المنحدرة فانهم ذكروا شلالات نياغارا في اميركا وشلالات زامباسي في افريقيا فرأوا انه من الممكن الانتفاع منها بقوى ملايين من الخيل ويقال انهم يسعون في انكلترا لصنع خزان يصون متفرق المياه المنحدرة لاستخدام قواها والانتفاع بها بمقدار ٩٨ الف حصان فاذا كانت كل دولة تجري على هذا المجرى فانه يتوفر للدنيا ملايين من طاقات الفحم الحجري وهذا لا بد ان يجري ان لم يكن في ايامنا ففي ايام اعقابنا لان الفحم لا يتجدد كالماء والهواء والنبات بل هو محدود الكمية ولا

بد ان يفنى واذا كان لا يفنى حقيقة فانه يفنى بعدم امكان الوصول اليه اذ يكون على عمق لا يتحمل حره الانسان

ومما يتلو نفع منحدرات المياه النفع الحاصل من قوة المد والجزر فانهم ذكروا عن خليج فوندي في نوفا سكوتيا ان قوة المد والجزر فيه معادلة لقوة مئتي مليون حصان وهي الان ذاهبة بلا فائدة بالاطلاق مع انه حين تدعو الضرورة الى استخدامها يمكن الانتفاع بها الى الابد

ومما يجيء نفعه بعد نفع المد والجزر نفع الحرارة الحادثة من اشعة الشمس فانهم قدروا ان الاشعة الواقعة على كل ذراع مكعبة من الارض مدة الصيف فيها من القوة ما يعادل قوة ثلاثة حصن بحيث انه لو جمعت قوى الاشعة الواقعة على اربعة امتار في منتصف النهار لكانت معادلة لكل القوى الحاصلة من مياه شلالات نياغارا في اميركا وهي اعظم شلالات على وجه الارض وهذه القوى مما يرجح استخدامها اذا وجدت النفقة فيها اقل من غيرها بل انهم قد جربوها الان ولكن لم يذكروا مقدار نفقة العمل الذي عملوه لها فانهم قد صنعوا زجاجة كبيرة على شكل الشمسية وجعلوها ذات الفي خانة ووضعوا ضمنها مرجلاً فيه الماء الذي يتبخر واحتالوا لها بحركة ذاتية توجهها دائماً الى الشمس فجاءت بنفع عظيم حتى انه لو وضع في مركز الاشعة قطعة من نحاس لذابت في الحال من فرط الحرارة كما يذوب الجليد

ثم يتلو منافع الشمس منافع الهواء فان هبوبه متصل على الارض بدون انقطاع وهو لا يزال مستخدماً لدى كثير من الامم في ادارة الطواحين ولا سيما في هولاندا حيث ينتفع من هبوب الرياح انتفاعا عظيما في رفع المياه من اراضيها المنخفضة عن سطح البحر مع اننا نحن في مصر نتزح مياه البحيرات

بقوى البخار في حين كان بالامكان تقليد ما يجري في هولاندا والاستغناء عن نفقات الفحم الطائلة ولا سيما ان الجهات الواقعة فيها هذه البحيرات معرضة لهبوب الرياح على الدوام كما هو مشاهد في الاسكندرية التي لا ينقطع مر الرياح عليها لحظة واحدة ويقال ان اعظم قوة للهواء مستخدمة الان في همبورغ بالمانيا حيث اقيم شراع تبلغ مساحته الف قدم مكعبة ويبلغ دورانه احدى عشرة دورة في الثانية وقوته تسعين حصاناً وهو يستخدم الان لتوليد الكهربائية ولعل قوة الهواء تكون افضل قوة يستطيعها الانسان لانه لا تخلو مملكة من امكنة يهب فيها الهواء على الدوام

العلم والصناعة

اصبح اقتران العلم بالصناعة في هذه الايام من اهم ما يجب اعتباره والالتفات اليه لانهم وجدوا النجاح بدون ذلك مستحيلا كما كانت الحال في بلادنا فان الصانع والزارع كانا يشتغلان في حرفتيهما وهما لا يدريان مما يصنعان شيئاً بل يجريان على موجب التقليد ولهذا كان كل شيء عندنا اولياً ليس عليه اثر من التمييز العلمي ولا يزال هذا شأننا في كثير من الاعمال على خلاف بعض الممالك الاوربية والاميريكية التي اطلقت العلم بين صناعها وزراعها فبلغوا من النجاح المبلغ العزيز

فلقد حدثوا عن المانيا انها كانت من خمسين سنة كما هي الان لم يزد فيها شيء عما كان موجوداً فيها من المواد الاولية التي تتناولها الصناعة ولكنها